

بيوت في الطريق إلى الخلود

المحرق

التاريخ بقدمي شاعر مغامر



● ما يراه زوار بيوت المحرق ينقلهم مباشرة إلى عالم الحقيقة الذي انطوت عليه محاولة التحديث في بلد احتضن واحدة من أقدم الحضارات.



● الشبيخة مي بنت محمد آل خليفة تستحق جائزة الأغا خان من أجل بيوتها التراثية التي أعادت إحياء خيالها فصارت بمثابة محور للتفكير بمحرق المستقبل.

عاصمة للبحرين تستعيد مجدها من خلال تلك البيوت التي تذكر بعقريات أصحابها وقوة الحلم الذي أحاط بها ونافس البحر بعصفه. كانت المحرق مدينة ثقافة وما هي اليوم تستعيد تلك الصفة.

الاحتفال الذي أقامته مؤسسة الأغا خان من أجل تسليم جائزتها للشبيخة مي آل خليفة يؤكد أن المحرق صارت حدثا عالميا بفضل بيوتها التي مر بها الأبناء والمفكرون والفنانون العرب وأصيبيو بعدوى جيبها.

كانت المحرق أرض الخلود في الميثولوجيا الراقية وهي اليوم أرض الثقافة المعاصرة.



● فكرة ترميم البيوت التراثية لا تنحصر في استعادة إرث معماري واماؤ عريق من المحاولة في أنسنة البحر ومغامرة الغوص بحثا عن اللؤلؤ. هناك هدف ثقافي يتخطى إحياء الماضي الذي يستحق أن تتعرف عليه الأجيال.

المجتمع لا خارجه. على غرار مجلسه فقد تم إعمار عدد من البيوت التي صارت أشبه بالكواكب الصغيرة التي تدور في محيطه، بالرغم من أنها مستقلة بأساليبها.

بيوت خفيفة مثل فكرة

فكرة ترميم البيوت التراثية لا تنحصر في استعادة إرث معماري واماؤ عريق من المحاولة في أنسنة البحر ومغامرة الغوص بحثا عن اللؤلؤ. هناك هدف ثقافي يتخطى إحياء الماضي الذي يستحق أن تتعرف عليه الأجيال. ذلك الهدف يكمن في العثور على الخيط الرفيع الذي يربط ما بين الماضي الذي تجسد البيوت واحدة من صبغ حضوره في المكان وبين الحاضر الذي يتوج مثل مياه البحر بين مرجعيات فكرية وفنية متنوعة ومتعددة الوجوه.

التراث المعماري الذي شيد من أجله أحد تلك البيوت يمثل حاضنة محايدة تتلقى فيها الأفكار والتجارب الإبداعية وتتلاقح الثقافات المعاصرة في ظل أجواء منفتحة على التسامح والتعددية في كل ما يتعلق بالبيات وتقنيات وطرق التفكير والإبداع الثقافي.

كل ذلك انعكس على الخدمات الثقافية التي تقدمها البيوت بعد أن صارت جزءا من مركز الشيخ إبراهيم الثقافي. حين تذهب إلى بيت محمد بن فارس لفن الصوت، وهو بيت الموسيقى، تجد نفسك محاطا بارشيف رائد فن الصوت الخليجي. متحف للموسيقى يحتوي على الأسطوانات والآلات الموسيقية القديمة والكتب التي تم تأليفها عن ذلك الرائد والنصوص الشعرية التي غناها وصور عن حياته.

في بيت الكورار تنتقل إلى عالم آخر هو في طريقه إلى أن يختفي، هو فن الحياكة والخياطة اليدوية الذي تنتج العاملات فيه أنواعا بعينها من الثياب التي صارت نادرة. في بيت الصحافة، وهو بيت عبدالله الزايد، يتعرف المرء على تاريخ الصحافة من خلال واحد من أهم رواها. أما في عمارة بن مطر، وهو البيت الذي يعود إلى عام 1902، فهناك عروض تشكيلية متحركة. كان المعرض الذي تمتعت بزيارته معرضا استعدايا لفنان البحرين الكبير راشد العريفي الذي عرف بأسلوبه التجريبي الذي سمح له بالتنقل بين المدارس الفنية.

"اقرأ" هو الشاعر الذي

والموسيقى والرسم والكتابة بكل أنواعها. سيغال إنها مشروع لإقامة مدينة مثقفين معزولة عن محيطها الذي يحتضن حياة الناس العاديين. ذلك ليس صحيحا ولا يمت إلى الواقع بصلة.

فاليوت المتخيلة التي صارت جزءا من مشروع أرضي مارست سحرها على أحياء بكاملها بحيث صارت تلك الأحياء تتمتع بنعمة الجيرة الحسنة. لقد صار السكان العاديون جيرانا للشعر والموسيقى والرسم والكتابة. لقد تغير الهواء في جزء بارز من مدينة المحرق. هناك أصوات مختلفة يحملها ذلك الهواء الذي لم يعد مبعأ بالضجر والذكريات العائلية.

غرفة الشيخ إبراهيم

نظرية الشبيخة مي في التغيير ليست معقدة ولا صعبة. فهي توحى كما لو أنها ممكنة ببسر وتفاؤل. غير أن ذلك ليس صحيحا أيضا. فالمدينة ليست حجرا. إنها البشر وهم ملائكتها. ذلك ما يهب الشبيخة مي صفة لم تكن تتوقعها.

"هل رأيت البيوت هناك؟" يسألني صديق بحريني بعد أن أخبرته أنني ذهبت إلى المحرق كما لو أنه يشير إلى متاحف. في عام 2002 افتتح مركز الشيخ إبراهيم الثقافي في المكان نفسه الذي كان يقع فيه مجلس الشيخ إبراهيم الأدبي بمدينة المحرق. بني المركز بطران معماري جديد ليحتضن محاضرات وندوات ثقافية متنوعة ضمن مواسمه السنوية التي تكون غالبا غاصة بأسماء مبدعين عرب، حرص المركز على أن يزين جدرانه بصورهم.

والشيخ إبراهيم لم يعرفه هو الشاعر البحريني إبراهيم بن محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة الذي ولد في المحرق منتصف القرن التاسع عشر وتوفي عام 1933. درس على أيدي علماء نجد ثم ذهب إلى موبى بالهند

والشيخ إبراهيم لم يعرفه هو الشاعر البحريني إبراهيم بن محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة الذي ولد في المحرق منتصف القرن التاسع عشر وتوفي عام 1933. درس على أيدي علماء نجد ثم ذهب إلى موبى بالهند

تعلمت صارت ضليعة في الشأن الثقافي باعتبارها فعلا جدليا يقع داخل



فاروق يوسف كاتب عراقي

لا تزال المحرق كما هي، بهويتها الثقافية التي هي مزيج من اللقى النفيسة التي يلقيها البحر على سواحلها. تلك مفاجاتها في بلد غارق في حدائته العمرانية بكل أنواعها. فالبحرين تتغير كل لحظة كما لو أنها تود أن تصبح بلدا آخر، بلدا لا يشبه نفسه. ذلك ليس مجازا شعريا بل هو كلام واقعي يعتمد على حقائق أرضية لا يمكن للعين سوى أن تتعرف بعجزها عن احتزالها في مشهد بصري واحد.

المحرق ليست مدينة فرجة أو سياحة. إنها مدينة عيش ممتع في حميميتها. يشعر المرء وهو يسير بين دروبها القصيرة والضيقة كما لو أنه يعود إلى بيته. هناك علاقة قرابة تفصح عنها العيون التي لا تنظر إلى الغرب من جهة كونه ضيفا عابرا يُحاط بعاطفة مؤقتة. قالت لي سيدة ترتدي العباءة التقليدية التي ذكرتها بامي "أنت في بيتك. الغداء جاهز".

البيوت المتاحف

كان عليّ أن أبحث عن بيتي في المحرق التي استحدثت الشبيخة مي بنت محمد آل خليفة جائزة الأغا خان من أجل بيوتها التراثية. فاليوت التي أعادت الشبيخة مي إحياء خيالها صارت بمثابة محور للتفكير في محرق المستقبل. تلك البيوت التي أعادت الشبيخة مي ترميمها من أجل أن تكون جزءا من مركز الشيخ إبراهيم الثقافي هي بيوت مستقبلية. ذلك لأنها بالرغم من إخلاصها للأصل الذي لا تزال تحافظ على الجزء الأكبر منه فإنها اكتسبت من الشبيخة مي

عادة التحليق بين الأزمنة. إنها بيوت محلقة في فضاء الشعر

